

عبد الوهاب البياتي

# الجزء الاول كتاب

حوارات

شوقي بزيغ • أحمد الصالح • يوسف أبولوز  
محمد لافي • لامع العز • عدنان الصانع • علي الشلاه  
محمد الحضرمي • باسل طلوزي • حميد الطبعي



المؤسسة  
العربية  
للدراسات  
والنشر

حقوق الطبع محفوظة

المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر

للكتاب:  
سبوت، ساقية الحبر، ساقية  
سبحان الكارون، ص.ب. ١١-٥٤١٠  
المنارة، ص.ب. ٨٧٩-٨٠٠  
٤٠٦٧ LE/DIRKAY، تكس،

التوزيع في الكويت:  
دار الناصر للنشر والتوزيع، مكتب  
ص.ب. ١٨٥٧، هاتف: ٨٥٤٢٠، فاكس:  
٦٨٥٥١ - ص.ب. ٤١٤٧

الطبعة الأولى

١٩٩٣

## الاغراق في الذاتية (الأنثى) المغلقة

### هي النهج السائد في الشعر العربي الآن

تجربة الريادة للشعر الحر، والانطلاقة الحقيقية للقصة العربية الحديثة... هموم جبل الشعراء الرواد... القصيدة العربية الفلسطينية... تطور القصيدة العربية الحديثة... أزمتها الراهنة... العودة إلى (الأنثوية) المغلقة في القصيدة تحت يافطة الحدادة... هذه القضايا وغيرها كانت عناوين هذا اللقاء مع الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي الذي يضيف الجديد دائماً رغم كثرة الأحاديث واللقاءات الصحفية معه.

أجرى اللقاء: محمد لافي

### (أباريق مهشمة) السهم الناري في الغابة الميتة

■ بصرف النظر عن الشطب والإضافة، فإن الحديث حول بدايات الشعر الحر لا يقف على قدميه دون تناول تجربة ثلاثة أسماء، أعني: نازك الملائكة، السياب، والبياتي... كيف تنظر إلى تجربة الريادة هذه على نحو عام، وموقعك فيها على نحو خاص؟

□ الأسماء التي ذكرت جاءت من اقليم مختلف من العراق ضمن وحدة الوطن، فالسياب مثلاً جاء من الريف العراقي الجنوبي الزراعي (منطقة أبي الخصيب)، حيث غابات النخيل، ونازك انحدرت من أسرة بغدادية عريقة، أما بالنسبة لي فقد كنت أنتمي إلى ريف العراق الوسطي الزراعي، الذي يعتمد في زراعته على الأمطار، كما أن نصف ارتني كان من بغداد، ومن محلة (باب الشيخ) تحديداً، حيث مرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني المتصوف الكبير، وأحد تلامذة

الحلاج، والمدافعين عنه... وعليه، فإن التنوع في تجربتنا كان غنياً، وفي هذا السياق يمكن إضافة اختلاف ثقافتنا وتنوعها إلى جانب عامل النسوة والبيئة، بالرغم من أننا جميعاً - أقصد ثلاثتنا - قد تخرجنا في دار المعلمين العالية، التي كانت أهم بؤرة ثقافية، وثورية في العراق، لأنها كانت تضم مختلف الأجناس والألوان، من أولئك الذين قدموا من شمال العراق، وجنوبه، ووسطه، حيث التنوع الديني، والمذهبي، والثقافي، والانتماء القومي... هذا، كما أن مراحل دراستنا في دار المعلمين العالية لم تكن متزامنة، فنازك انتهت دراستها قبلي وقبل السياب، والسياب أنهى دراسته قبلي بعامين. بالنسبة لي استطيع القول أن ثقافتني - منذ البداية - كانت مختلفة عن ثقافة السياب، أو نازك، إلى جانب اختلاف بيتي، وعلاقاتي الاجتماعية... وأؤكد هنا أن التمرد قد ولد في داخلي مع صرختي الأولى، وأنا في يد القابلة!... أرحبني النور الذي صدم عيني لأول مرة وأنا أخرج من جوف ظلام العصور الطويلة، حيث مشاهد البؤس/بؤس الطبيعة والإنسان والحيوان وبؤس التاريخ الذي سحقته مطارق الغزاة منذ سقوط بغداد على يد المغول، مروراً بالعشائين، وانتهاء بالغزاة البريطانيين الجدد... كل هذه المشاهد رأيتها في لحظة واحدة، وأنا أعبّر جسر الطفولة إلى ضفة المراهقة، والشباب الأول، هذا إضافة إلى منظر اقاربي الذين كانوا يهاجرون إلى شمال العراق، وجنوبه، وشرقه عندما تشع السماء بمطرهما، فتتركهم هاتمين، جاتعين، باحثين عن العمل في كل مكان.

كنت أحس في السنوات الأولى أن ثمة تهيئة سحرية قد حلت في كل شيء... في الأشجار التي تموت أو تولد، في نهر دجلة الذي كان يفيض، ويهدد بغداد بالفوق، في منظر الجنود الذين يذهبون إلى معسكراتهم، ويعودون منها، في منظر الذبائح - وهي تمر من محلتنا - إلى المسلخ، في مشاهد الموتى والجنازات، وهي تمر بمشيعها، ليصلى عليها في مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني. في تلك السنوات احرقني برق العشق كما قلت في إحدى قصائدي بعد خمسين سنة من ذلك الحريق. ولا أريد الاسترسال أكثر، لأن الحديث يطول... كل ما هنالك هو وجه البؤس الإنساني، وثار التمرد التي كانت تنقد في داخلي. ولذلك، فإن تأملاتي في الأشياء، وفي الكتب كانت معذبة، ومحترقة، لأنني كنت أبحث فيها عن الوجه الغائب للحياة الإنسانية، ذلك الوجه الذي لا أجدّه في الواقع، ولا في الكتب. كنت

ويدون ذلك فإن الحياة لا معنى لها.

وهكذا، نشب صراع قاس وضار لا يرحم بيني وبين الظلام، وتكسرت لي نصال كثيرة دون جدوى، وعندما نشر ديواني الأول (ملائكة وشياطين) في العام ١٩٥٠ - وكانت قصائده قد كتبت ما بين ١٩٤٥ - ١٩٥٠ - شعرت بجزع شديد وحرف لا يوصف، إذ كتبت أحس إزاء هذا الديوان أنني لا أزال أسبح في بحر الآخرين دون أن أبتل بالماء! وراودني شعور في الوقت نفسه أنني اجتزت الامتحان الأول، لأن هذا الديوان قد استقبل من بعض الأوساط التي كانت تميل إلى الاتجاه الرومانسي - وكان هو الاتجاه السائد في تلك الفترة - استقبالاً جيداً، حيث كتبت عنه بعض المجلات الأدبية في مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، بل إن بعض المجلات الأدبية - أذكر منها مجلة الرسالة المصرية - كانت قد نشرت قصيدة منه قبل نشره. وذات يوم قررت بيني وبين نفسي ألا أعود لمثل هذا، وأن عليّ أن أقوم بمحاولة أخرى غير فيها وجه الأشياء، واخلف ورائي (ملائكة وشياطين)، ومنذ ذلك الوقت ابتدأت بداياتي الحقيقية، إذ باشرت العام ١٩٥١ كتابة (أباريق مهشمة) حتى العام ١٩٥٤، أي العام الذي صدرت فيه المجموعة بطبيعتها الأولى، وكتبت في تلك السنوات قد احترقت مرات عديدة، وعبرت انهاراً كثيرة، ومررت بتجارب لا حصر لها، وإضافة إلى الكتب التي قرأتها، والتيارات الاجتماعية والسياسية التي عاصرتها، كانت (أباريق مهشمة) هي السهم الناري الحقيقي الذي أطلقته نحو الغابة الميئة فاشتملها ليشتمل معها الجدل في كل مكان. وقد شهد فيما بعد الكثير من النقاد أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر د. إحسان عباس، والأستاذ محمد البطراوي أن (أباريق مهشمة) كانت بداية الحدأة والتجديد في الشعر العربي ذلك لأن السياب في ذلك الوقت كان مشهوراً بأشعاره السياسية والاجتماعية أكثر مما هو معروف كشاعر حدائي أو مجدد، وكذلك الأمر بالنسبة لنازك الملائكة التي كانت مغرقة في ذاتيتها أي (الأنا) التي ليس لها علاقة بالآخر، أو بالذات العليا.

وأخيراً، هناك فجوات قد تركتها في أجابتي عن سؤالك، لأن النقد وما كتب عن شعري قد ملأها، أو أنني قمت بملء هذه الفجوات في أحاديث سابقة.

■ كانك تقطع السياب ونازك الملائكة في سلة واحدة؟!  
□ لا... لا أضهما في سلة واحدة لأن السياب أقرب إلى نفسي بالرغم من

أقضي الليالي مسهداً، وأقضي النهارات بالتجوال والجلوس أمام نهر دجلة، وأحس أن الغزاة واللصوص كانوا قد مروا من هنا، وأنهم سيمودون لطمس ما بقي من أمل انساني في دحر الظلام والبؤس. كنت أقرأ كل ما يقع بيدي من كتب. بدأت بالكتب الدينية أولاً، فزريت أنها تتحدث عما كنت أريده، ولكنها تؤجل الواقع إلى العالم الآخر، ولهذا فقد اعترضت عنها لأنني كنت أبحث عن السعادة والحب والفرودس كما يسمونه في الأرض (والآن)، وليس في العالم الآخر.

كنت أشعر أن ثمة فخاً كبيراً قد نصب للشبر ليقفوا فيه. قرأت كما ذكرت كل ما كان يقع في يدي، قرأت الكتب المقدسة للاديان الأخرى، ووصلت إلى النتائج نفسها التي توصلت إليها سابقاً ثم وقفت في يدي كتب جبران خليل جبران، فاستدنتي قليلاً، لكنني شعرت أنني أحوم في الهواء ثم أسقط مكسور الجناح... وهكذا كان عذابي مع بقية الكتب، مروراً بطه حسين، والمقاد، والمازني، وسواهم من كبار كتاب العربية. في تلك السنوات كنت أحس أن معظم الكتب التي تقع بين يدي، وقرأها، مصوغة لتحقيق أهداف الذين نصبوا لنا الفخ الكبير، وجعلونا نتعذب طوال حياتنا وقد عبرت عن هذا العذاب بعد أكثر من خمسين عاماً أيضاً في قصيدة (يوميات المشاق الفقراء).

وكان للحرب العالمية الثانية أثر كبير في تحطيم الأوثان التي كنت أطرف حولها دون أن التمها. لقد حملت إلينا رياح الحرب والتغيرات والاتصالات كيباً جديدة، فقرأت لأول مرة مكسيم غوركي على سبيل المثال لا الحصر في روايته (الأم)، كما قرأت بعض ما كان يكتبه (هارولد لاسكي) ويزنارد شو، وراسل، هذا إضافة إلى بعض الأعمال الأدبية الاغريقية. وكنت قد ارجأت في تلك السنوات قراءة المحلاج وابن عربي لأن رحلتي مع التراث العربي لم تكن قد بدأت بعد. ثم بدأ العالم يتغير أمام عيني لأجد نفسي في فخ جديد هو فخ اختراق كيبونة اللغة، وكيبونة الأشياء، وإيجاد علاقة جدلية بينهما، لأن محاولاتي في الكتابة في تلك السنوات مجرد تهوريمات وخذوش في سطح اللغة دون الوصول إلى أية نتيجة حاسمة، ولذلك اتباني الخوف/الخوف من بقائي أصمى إلى الأبد لأنني كنت أحس أن الكتابة هي خلاصي، وبدونها فإن حياتي ستصبح لا قيمة لها، وأنتي مجرد عابر في حياة عابرة وبعبارة أوضح كنت أحس في تلك السنوات دون وعي أنني ولدت لأكون شاعراً،

التي أكن إعجاباً شديداً لمحاولات نازك الملائكة في كل دواوينها التي نشرتها في الخمسينيات، فهي شاعرة كبيرة أتمنى أن توضع في مكانها اللائق في سياق تطور الشعر العربي.

### رؤيتي الصوفية والفلسفية جنيتي شعر المناسبات

■ تقول السياب أقرب إلى نفسك... هل تفسر ذلك؟

□ القريب بيني وبين السياب كانت قليلة، وهي قرى سياسية واجتماعية، بالرغم من أن شعري السياسي والاجتماعي في تلك الفترة كان يختلف عن شعر السياب، لأنه - السياب - كان مرتبطاً باليدولوجية وحزب معين، أما رؤيتي الشعرية فكانت جوهرها التمرد والثورة، والبحث عن السعادة والفرح، وعن العدالة والفرديوس الأرضي، أي أن رؤيتي الاجتماعية والسياسية في تلك السنوات كانت تشوبها مسحة صوفية وفلسفية، وهذه الرؤيا هي التي انقذتني من شعر المناسبات مهما كان نوع هذه المناسبات.

في تلك المرحلة، كانت تتجلى المواجهة في شعري بين الإنسان والذلل الكوني إلى جانب الذلل الاجتماعي والسياسي.

يضيف الاستاذ محمد البطراوي الذي حضر اللقاء رأياً جديداً، وهو أن البياتي قد تجاوز في شعره قضية الصراع الطبقي إلى قضية الصراع الإنساني).

### الشعراء الحقيقيون نعمة نادرة

■ الآن، وقياساً بالخمسينيات، كيف تنظر إلى خريطة الشعر العربي؟  
□ إنني أؤمن بتعاقب الأجيال كما تتعاقب الفصول، ويأن نار الشعر لا تخبو، ولهذا فإن نار الخمسينيات ظلت متقدة، وظل مشعل الشعر منذ تلك السنوات حتى الآن كشعلة (الأولمب) في أيدي الشعراء، يطوفون بها من قطر إلى آخر، ومن زمن إلى زمن آخر، لكنني احتشمس هنا فأقول: إن رفع بوابات السد أمام ماء الشعر لا يعني هذه الكثرة الكثيرة من الشعراء، التي تملأ الصحف والمجلات، ذلك لأن الشعر نعمة نادرة، وهي لا تهبط على هذا الشاعر أو ذاك كبيرة، أو هبة، بل إنها

صعود إلى جبل الثلجة وعذاب، وإن حمل صليب الشعر مهمة شاقة، وكما أن الشعر نعمة نادرة فإن الشعراء الحقيقيين هم نعمة نادرة أيضاً، واستطيع أن أتخيل الآن - وأنا أتحدث إليك حول سنوات الخمسينيات - لأرى أن عقد التسعينيات الذي بدأتاه قبل قليل يحتلني بنفس الصخب والعنف الذي كان يسود عقد الخمسينيات، وكما أن سنوات الخمسينيات قد افترقت قلة قليلة نادرة من الشعراء الحقيقيين فإننا نرى الآن في التسعينيات أن الشعراء الحقيقيين لا يزالون هم القلة القليلة النادرة، بالرغم من الصخب الإعلامي، وكثرة المنابر والمجلات والمهرجانات، فالخروج من الباب الضيق - كما يقول الكتاب المقدس - ليست لعبة بهلوانية، أو عملية (روليت) تتم عندما يتم رصف الكلمات، وقد لا أبالغ إذا قلت أن أربعين عاماً من عمر الشعر العربي الحديث لم تنجب أكثر من عشرة شعراء حقيقيين، وهذه نسبة عالية، وصحية، ذلك أن أحقاب الشعر العربي القديم لم تنجب هذا القدر.

### قداسة الشعر وقداسة الإنسان

■ الشاعر الحقيقي والصميمي هو صاحب فكرة رئيسة تمثل الخيط الناظم لجميع نتاجه، لتصب فيها كافة الأفكار الجزئية الأخرى، وإذا وافقت على أنها قضية يلتزم بها الشاعر، فكيف تنظر إلى شعرنا العربي الحديث الآن من هذه الزاوية، وفي ضوء عودة (الأثوية) الضيقة التي باتت تكتنف الجزء الأكبر مما نطالعنا به الصحف والمجلات من نتاج شعري، كاتمكاس لحالة الخراب التي تكاد تلف مناحي حياتنا العربية؟

■ لنرد على دعوى اعداء الشعر السياسي والاجتماعي، ودعاة الشعر الصافي يمكننا الاستشهاد بشعر أميركا اللاتينية الذي يعتبر من أعمق الشعر المكتوب في كل العصور الإنسانية من ناحية تطوره الفني العالمي، واستفادته من إنجازات كافة المدارس الشعرية المختلفة دون الوقوع في أسر أية واحدة منها، ولكن هذا الشعر ظل يحافظ على محوره الإنساني الأصل، وهو مواجهة الموت والتعاسة، حيث تدخل في مفهوم هذه المواجهة كل معاني مجابهة الذلل الكوني والاجتماعي والسياسي. أتساءل الآن: أين ذهب هذا النور في شعرنا العربي؟ ولماذا تحول معظمه إلى أزهار ورقية ملونة ومتعددة؟! وأين نحن من هذه المواجهة، أي مواجهة

الموت والتعاسة، وبخاصة ونحن نقف في مفترق دروب التاريخ/تكون أو لا تكون؟! هذا الهاجس هو ما يثير وجعي وأنا أقرأ بعض الدواوين، والقصائد المشورة في المجالات والصحف، إذ أرى أن بعضها جيد جداً من الناحية النظرية والمثالية للشعر، لكنني أستدرك لأقول: أين الإنسان وصراعه من هذا الجمال البارد؟! إن الإغراق في الذاتية، أي (الأنا) المتعلقة هي النهج السائد الآن في الشعر العربي، دون محاولة الاقتراب من الآخر، أو الرجل من (الأنا) إلى الذات العليا الإنسانية. إن الشعراء السومريين عندما كتبوا ملاحمهم الشعرية، وبخاصة ملحمة (جلجامش) التي كتبها شعراء مختلفون، قد اخفوا ذواتهم، وانطلقوا منها إلى فضاءات الذات الإنسانية العليا، فكانت قصائدهم كسفن الفضاء التي تنتقل إلى أكران أخرى، فهم لم يكتبوا هذه الملاحم من أجل الشعر وحسب (وأيّة ذلك أنهم لم يتركوا لنا أسماءهم) وإنما كانوا يكتبون لمعانقة الذات العليا للإنسان، والوصول إلى سديم الأكران الإنسانية الأخرى، إلى عصور مختلفة، وأمكنة مختلفة، وبعبارة أكثر إيجازاً أقول: إن الشاعر يستطيع الجمع بين قداسة الشعر وقداسة الإنسان في أقنوم واحد.

وأضيف: إذا كان الساسة والحكام يضعون الأوامر في أفواه عبيدهم، فإن

قدسية الإنسان، وصوت أوجاعه تضع كلماتها في فم الشاعر، والشاعر الذي يدعي أنه يبدع من ذاته ولذاته هو شاعر كاذب، فما الشعر إلا فم المعذبين في كل العصور، وفي كل الأمكنة، إنه يطلق من بئر الشقاء ليعبر عنه.

### باروكة تغطي اللفة الصلحاء!

■ إذن هناك أزمة، وما قلته هو جانب منها؟

□ نعم، فالرغم من جودة بعض الشعر العربي الشكلية والجمالية، فإنه يفتر إلى النار المقدسة التي سجد إليها الشعراء والأنبياء، وكافة المعذبين في كل العصور، إنه لم يعد فماً مبرماً عن الوجد الإنساني، بل فماً يعبر عن الذات المفردة في أذنيها، والمتخمة بالهدايا والمطايا والأسلاب، ليس هناك شرط أن تصبح شاعر الأمير مباشرة، حيث أن ثمة شعراء أصبحوا شعراء/أمراء أنفسهم! إنها ليست أزمة مضمون فقط، لأن الشكل أيضاً يبدل ويضمّر، ويتحول إلى زهرة ورقية، أو (باروكة) تغطي اللفة الصلحاء! أي أن جمالية الشعر لا تستمد من نفسها بل من نار الكون،

نار الجبال العالية التي تشتمل وتوجه الرعاة، والأنبياء، والمعصاة، والتمرديين، والباحثين عن ينايع السعادة، أو العطشى الباحثين عن الماء، ولأ فإنتا يمكن أن تستعص عن امرأة حية، فارطة الجمال بصورة لها في مجلة أو كتاب.

### مذاق خاص للقصيدة الفلسطينية

■ قبل قليل كنا نتحدث عن قضية الالتزام في الشعر... كيف ننظر إلى رحلة الشعر الفلسطيني من هذه الزاوية؟

□ في البداية، كان شأن الشعر الفلسطيني شأن الشعر العربي، ينغمس في الرثاء، والبكاء على الأطلال، لكنه منذ بداية الخمسينات أخذ يخترق كيئوته وصولاً إلى القصيدة التي هي في نهاية المطاف مبتغاه ومسعاه، ومنذ ذلك الوقت بدأ الشعر الفلسطيني يسير قدماً، وكثفاً إلى كتف مع الشعر العربي، حاملاً فضيلة قضيته الشعرية والوجودية، وولد من خلال هذه المسيرة شعراء يتسمون إلى مختلف الأجيال، أصبح لهم باع طويل في الشعر العربي شأنهم شأن إخوانهم، وقد أضاف الشعر الفلسطيني - الجيد منه - دماً جديداً إلى جسد القصيدة العربية الشاحب، وأعطاه عمقاً إنسانياً يتجاوز أوجاع المرحلة الرامة ليمتد إلى الوجد الإنساني في كافة العصور، صانعاً علاقات جدلية مع الإنسان وقدره. وإذا كان هذا الشعر في بدايته احتفالياً، ثم أصبح بكاتياً، فإنه في الآونة الأخيرة يمثل شعراً إنسانياً، يستخدم الوجد القومي والإنساني أجنحة للطيران في أفق الشعر الحق.

■ إلى أي مدى حقق معادلة التوازي بين الجمالي في المضمون والجمالي في الشكل؟

□ إن القضية الفلسطينية قضية قومية، وهي قضيتنا ولهذا فإن وجعنا مشترك على المستوى القومي والإنساني، لكن مذاق القصيدة الفلسطينية يظل مذاقاً خاصاً، فالنار لا تحرق إلا رجل واطها كما يقال، بالرغم من أننا كنا نحترق في جحيم الهم القومي والإنساني...

### شعوب الأرض منفية داخل أوطانها!

■ البياني رجل الترحال الدائم، والمنفى عنوان بارز في حياته وشعره... فما

## القصيدة البرقية تقرر مصيرها قفلتها

■ يبرز الكثيف سمة رئيسة في مجموعتك الشعرية المشربة الأخيرة، والمعنونة بـ (بستان عائشة) حتى أن كثيراً من قصائدها يندرج تحت ما يمكن أن نسميه (القصيدة البرقية)... ما هي مبررات لجوئك إلى هذا النوع من القصيدة؟ كيف تنظر إليه؟

□ طبعتي منذ البداية أن أوجز، وأشير، وأرمر دون الدخول في التفاصيل والثرثرة، وقصائدي الطويلة هي قصائد مكثفة وقصيرة أيضاً، ولو كتبها شاعر آخر لكانت عشرة أضعاف مما كتبها أنا، كما أن قصائدي الأولى الطويلة كانت مقسمة إلى عناقيد كل عنقود منها يمكن أن يقرأ وحده، ولكن محصلة عناقيد القصيدة النهائي يشكل وحدة جديدة لهذه المناقيد، بالرغم من وحدة كل عنقود منها على انفراد.

قصائدي الأخيرة التي أشرت إليها ليست الشكل النهائي، أو المحطة الأخيرة في شعري، بل إنها تمثل مرحلة مهمة من حياتي لأنني كتبها في إسبانيا، وأنا أأمل الوجود في غربة جديدة لم أذق طعمها من قبل، ولو أردنا أن نثر واحدة منها لملاً كمها ونوعها سمة هذا الكون، فهي تضم تجارب عنقت، واحترقت، ولم يبق منها إلا الجوهر، أي أنها عملية تحويل الذهب إلى ذهب، وليست تحويل المعدن الخسيس إلى معدن نفيس، أذكر منها على سبيل المثال قصيدة واحدة كانت بعنوان (عن كتب التاريخ أيضاً)، فهي تلخص قصة الاسكندر المقدوني وتلمذته على ارسطوطاليس وغزواته في العالم، وهي قصة تلخص تاريخ كل الفاتحين والظغاة في العالم، وبكلمات قليلة جداً دون الدخول في تفاصيل لا لزوم لها، لأن زاوية الرؤيا التي كانت مسطرة على الاسكندر المقدوني كانت تتطلب هذا القدر المعين من الكلمات. ويحق لي أنا الآن أن أسالك سؤالاً وهو: كم هي الساعة الآن؟ وأنت تجيبني أنها الثانية بعد الظهر، بدلاً من أن تتحدث عن تاريخ الساعات، وصنعها، وأنواعها! هكذا يفعل بعض الشعراء في قصائدهم، أي أنهم يقلقونها عندما يقلقونها بالأغظية.

هناك تجارب انسانية لا يمكن التعبير عنها إلا بلحمة لا تنتهي، ومن هذا نستدل

الذي أخذه منك، وما الذي استفدته منه؟

□ كتبت في آخر قصيدة لي عنوانها (مدارات شرقية) على لسان نهر الخابور: (إن المنفى أصبح وطناً)، وقلت في قصيدة نشرت في ديوان (مملكة السنبلة): (العالم منفي في داخل منفي والناس رهائن) كان ذلك شعوري منذ أن وعيت هذه الدنيا، ذلك لأن الشرط الإنساني لم يتحقق، وكذلك الأمر بالنسبة للعدالة والديمقراطية، وهكذا أرى شعوب الأرض كلها منفية داخل أوطانها، وهؤلاء المنفيون في أوطانهم يضمهم منفي آخر هو هذا الكون، ومن ثم فإن السفر داخل المنفى الصغير أو الكبير يعتبر نوعاً من الترف والنزهة ليس في حدائق الآلهة، بل في صحاري التماسة.

لقد أطبق السياسيون المحترفون، والقتلة والطغاة والغزاة على العالم منذ فجر الإنسانية الأولى، ولا يزالون يمارسون لعبتهم، ونحن نعيش تحت وصاياهم، وينادفهم، ورحمتهم - أحياناً - المشكوك فيها، ولقد قال الإمام علي: إن أشد أنواع النفي هو أن تكون منفيًا في عقر دارك، أو وطنك وأنت فقير. وكان ذلك أول سهم أشار إلى النفي في أدبنا العربي، بالرغم من منفي طرفة بن العبد الذي سبقه، وهو منفي القبيلة، أو الطائفة.

إن وحدانية الإنسان في هذا العالم، وتركه معرضاً للشقاء الأبدى دون أن يختار اسمه، أو لونه، أو جنسيته، ذلك هو ألف باء النفي، فما بالك بباء النفي؟!

لقد رأيت الصورة الكلية للشقاء الإنساني بعد أن كنت لا أرى إلا الجزء الصغير من هذا الشقاء، كما أنني نعمت ببعض السعادة الهاربة، وبعض الحب والنهم، وكنت أعود ويدي مبللة بالمطر أو بحفنة ثلج، أو بزهرة قطفها من أحد جبال العالم، أو بصورة امرأة احببتها، أو قصيدة كتبها... السفر أو الغربة أو المنفى عمق احساسني بشقاء البشر وعداباتهم وطموحاتهم، وسعادتهم المسروقة، كما أنني اكتشفت جوهره الأمل الإنساني مهما سحق وهزم وحطم، فإنه يعود أقوى مما كان، وعليه... فأنتي لست مع رأي الشاعر العربي القديم الذي شبه الإنسان بالزجاج الذي يكسر ولا يعاد سبكه، فالإنسان - وهو يتقدم نحو حفته - يضيف إلى عملية التجدد طاقة انسانية جديدة، ويتحول إلى سماء انساني في بستان المستقبل.

□ اطلاقاً لا... لا نوبل ولا غيرها... لا أفكر بالجوائز، أذكر على سبيل المثال أنني منحت رسام الآداب والفنون من وزارة الثقافة والفنون الإسبانية، ودعيت لاستلام هذا الوسام، لكنني لم أذهب... وقد عرضت علي أمور كثيرة فاعتذرت منسماً لأنني امتلك عدداً كبيراً من القراء، وبلغات كثيرة، بحبوني وأحبهم، ولا يمر عام إلا ويصدر لي كتاب في هذا البلد العربي أو ذاك، أو في هذه القارة أو تلك، وإذا كنت لست مثقلاً بالجوائز، فإنني ممثلي بالحب، واهتمام القراء والدارسين لشعري، وهم الحافز الأصيل للإبداع.

### منذور للحب والشعر

■ أخيراً، بعد هذه الرحلة الطويلة مع الإبداع... بعد عشرين مجموعة، وبأكثر من طبعة، وبلغات كثيرة... ماذا يريد البياتي من الشعر؟

□ لا أزال احتفظ بقواري كما بدأت رحلتي الشعرية منذ خمسين عاماً، وأن ألامي جبلاً لم أقطعها، وبحاراً لم أجها وبلاداً لم أزرها، وقصائد لم أكتبها بعد، أي أن النار التي اشتعلت ذات يوم في كياني لا تزال تشتعل بنفس القوة، فالحياة في داخلي والشعر يسيران معاً ويتحدان، لأنني أحمل مخزوناً هائلاً، وكثيراً لا يفي من التجارب والرؤى والأحلام التي لم أطلقها على الورق بعد، وإذا كنت قد جيت العالم ذات يوم، فإنني أجرب العالم الآن في داخل نفسي لاكتشف أكوّناً جديدة، أي أنني لا أزال أحس أنني ذلك الطفل الذي كنته ذات يوم، منذوراً للحب وللشعر ولا شيء سواهما.

### كوادر

\* التمرد ولد في داخلي مع صرختي الأولى وأنا في يد القابلة!  
\* كانت مجموعة (أباريق مهشمة) هي السهم الناري الحقيقي الذي أطلقته نحو الغابة الميتة فاشعلها ليشتعل معها الجدل في كل مكان.

\* قد لا أبالغ إذا قلت: إن أربعين عاماً من عمر الشعر العربي الحديث لم تنجب أكثر من عشرة شعراء حقيقيين، وهذه نسبة عالية، وصحية، ذلك أن أحقاب

أن طبيعة الرؤيا والتجربة هي التي تحدد الشكل. فالقصيدة القصيرة المكونة من كلمات قليلة وأبيات قليلة فن صعب جداً، إذ إن لها مواصفات وشروطاً معينة، فليست هي مقول القول، بل إنها تبدأ بكلمة وتنتهي بكلمة تضيء الأولى، وبدون هذه الإضاءة تصبح كأنها جزء من قصيدة لم تكتمل، أي أن البيت الأخير يلعب دوراً حاسماً في تقرير مصير القصيدة.

يمكن أن يكون هذا النوع من التكثيف والاختصار تطويراً للقصيدة، ولكن دون أن نفعل جانباً هاماً هو الأساس، فالهروب من العام إلى الخاص، والقبوع فيه دون محاولة إيجاد علاقة جدلية بينهما ليس تطويراً للقصيدة العربية أو نضجاً لها كما يزعم البعض، فجودة القصيدة يقرها الشاعر وحده وبدون طرح هذه المفاهيم، وإنني أرى العكس، أن القصيدة عندما تتجمد في العام دون إيجاد علاقة جدلية مع الخاص تدبل وتموت.

### لا زمن لدي للكتابة

■ طوّقت بلداناً كثيرة، وعقدت علاقات وصداقات حميمة مع أسماء ممتدة تعتبر منارات في الشعر العالمي، منهم من رحل، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة... أي الأحياء من هؤلاء أقرب إليك؟

□ اكافيو باث، البرتي، حمزاتوف، وفوزنيسكي.

■ ماذا تقول عن لحظة الكتابة/الخلق... هل لها زمن محدد؟

□ أكتب عندما لا أكون في ساعات فرح أو حزن، وعندما تحل السكينة والسلام في نفسي، وأقترب اقتراباً شديداً من حافة الوجود، واصفني إلى موسيقى الكون فاندمج في موجة من هذه الموسيقى، واتحد في قوارتها، وأصبح جزءاً لا يتجزأ منها، فإذا بالكلمات تنبجس كما تنبجس الدموع من العين. الغريب أنه ليس لدي زمان للكتابة، فأنا أكتب عندما تدهمني الحالة التي ذكرتها، حيث اتحد بالموسيقى الكونية وأدور في فلك الإبداع.

يكفيني حب القراء واهتمام الدارسين لشعري

■ هل فكرت بجائزة نوبل؟!

الشعر العربي القديم لم تنجب هذا القدر!

\* الشاعر الحقيقي والصميمي يستطيع الجمع بين قداسة الشعر، وقداسة الإنسان في أقنوم واحد.

\* أزمة القصيدة العربية ليست أزمة مضمون فقط، لأن الشكل يذبل أيضاً، ويضمّر، ويتحول إلى زهرة ورقية، أو (باروكة) تغطي اللغة الصلحاء!

\* رغم أننا نحترق جميعاً في جحيم الهم القومي والإنساني إلا أن مذاق القصيدة الفلسطينية يظل مذاقاً خاصاً، فالنار لا تحرق إلا رجل واطنّها.